
كل الرسل
في الكتاب المقدس
www.christianlib.com
بقلم
هربرت لوكير
دار الثقافة

# يوحنا
# الرسول الذي جسَّد المحبة

عندما نواصل تقديم لمحات عن الرسل يتضح بالتدريج أن دراسة تاريخ الحياة تأتي في المرتبة الأولى من الأهمية والإثارة. كم هو مفيد وجذاب أن نتتبع حياة شخص من البداية إلى النهاية، بملاحظة الملامح العديدة، ومتابعة الظروف والأزمات التي يجتازها لنكتشف ينابيع الشخصية وسر القوة. إنه اختبار مثر أن نتتبع مسار حياة من بدايتها حتى نهايتها. ولهذا السبب فإن الكتاب المقدس - تاريخ حياة البشرية - جذاب، لأنه يتعامل مع الحياة، بشخصياتها، وبمشكلاتها البشرية واحتياجاتها، وضعفاتها، وتجاربها وانتصاراتها.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن تأملاتنا تثبت أنه دوناً عن سائر البشر المدونة تواريخ حياتهم في الكتاب المقدس، لا توجد تواريخ حياة أكثر قيمة وإلهاماً من حياة الرسل. بسبب ارتباطهم الوثيق بالمسيح، مما أعطاهم فرصاً نادرة من الثقافة الروحية والخدمة، ودوناً عن حياة سائر الرسل ربما يعد يوحنا هو الشخصية البارزة بسبب شركته المجيدة والحميمة مع معلمه والذي خدمه مدة أطول من أي رسول آخر. دعنا نحاول إذن أن نرسم خطوط الملامح البارزة لذلك الشخص الذي كان ملماً بالأسرار الداخلية لسيده كما لم يحدث مع أي تلميذ آخر. يبدو أن يوحنا يحتل ركناً لوحده في معرض الرسل. ومع ذلك فعلى الرغم أن كتاباته التي حُفظت أكثر من كتابات أي رسول آخر، إلا أنه نادراً ما يكتب عن نفسه. هناك القليل من سرد لتاريخ الحياة في الكتب التي كتبها يوحنا، ولكن الأمر يختلف بالنسبة للرسول بولس فإن رسائله، جنباً إلى جنب مع سفر أعمال الرسل، تقدم لنا الكثير من الصور الوصفية لتاريخ حياته.



ومع ذلك فحتى ما يكتمه يوحنا فإنه يبوح به دون قصد. فالمعلومات المتعلقة بيوحنا تعد الأكمل من بين الاثنى عشر، فهو معلن لنا، ليس فقط في البشائر الثلاث الأول، ولكن في كتاباته هو أيضاً - وعن طريق تحفظه في الحديث. إن دراستنا لشخصية يوحنا، كما لكل شخصيات الكتاب المقدس الخاضعة للتأثير الإلهي، تؤكد القول الشائع للفيلسوف الإنجليزي، چون لوك، بأن «الله، عندما يصنع نبياً، فإنه لا يلغي وجود الإنسان بداخله». وعندما نستعرض كل رجال العلية ونرى صورهم أمامنا في ملف واحد، لا يسعنا سوى أن نرى قصورهم، وضعفهم، وبشريتهم، وكلها تشكل مادة للنحات السماوي الذي قال «هلم ورائي فأجعلك..» إن يوحنا وبقية الرسل كانوا «جواهر غير مصقولة في حاجة للصقل على عجلة الخدمة على يد صاقل الحجارة الكريمة»، كل واحد اختاره يسوع،

نما مثله بطريقته الخاصة، فالمسيح لم يقض على الشخصية الفردية أو يكبتها، ولكن صانع الرجال نماها وقدسها.

### ١- اسم ذو كرامة

من المثير أن نلاحظ الرسول يوحنا أشار في بداية إنجيله إلى ممهد الطريق ليسوع دون ذكر لقبه المميز «المعمدان». وقد كان الرسول بالنسبة له بمثابة التلميذ إلى معلمه. يعلق اليكوت على ذلك بالقول «لم يظهر معلم أعظم منه حينئذ، ولكن عندما ظهر (المسيح)، فكل من المعلم السابق والتلميذ شهدا له على السواء، وعلى الرغم أن ممهد الطريق ليسوع كان عظيماً، إلا أن الأصغر في ملكوت السماء أصبح أعظم منه. ولكن التلميذ الذي نحن بصدده الآن كان أيضاً «إنساناً مرسلاً من الله، اسمه يوحنا» (يو ١:٦) ومثل سميه أقيم ليشهد لذاك الذي جاء نوراً للعالم.

على الرغم أن يوحنا ذكر يوحنا المعمدان بوضوح على نحو بارز، دون إعطائه أي مؤهل، أو وصف، أو نسب، كما لو كان الشخص الوحيد في الأمة بهذا الاسم، والشخص الوحيد في عصره وفي الإنجيل، إلا أنه لم يذكر اسمه هو مرة واحدة في الـ ٢١ إصحاحاً التي تكون الإنجيل المسمى باسمه. يوحنا هو الوحيد دوناً عن البشيرين الأربعة الذي لا يقدم قائمة بالاثنى عشر رسولاً، والذي كان واحداً منهم، وبتواضع حقيقي، نادراً ما يشير يوحنا إلى شخصه - وهذه حقيقة سوف نتحدث عنها باستفاضة فيما بعد.

الاسم يوحنا، أو يونا - اسم شائع في عصره - يتفق في صيغته العبرية، مع الاسم يونا Jonah في العهد القديم وهو الاسم الذي يعني «حمامة» وقد كان الرجل الوحيد الذي يحمل ذلك الاسم بالضبط، على قدر معلوماتنا. ويبدو أن دلالة ذلك الاسم لا علاقة لها بشخصية يونا التي، أقل ما يقال عنها، أنها لم تكن كثيرة الشبه بالحمامة. ولكن بالنسبة لرسول المحبة فالأمر مختلف، وكما سوف تظهر الصورة التي رسمناها عنه، كان يظهر الكثير من ميزات الحمامة، إن الاسم يوحنا يعني «الرب رحيم» أو «نعمة الرب» وكان اسماً مفضلاً في الكنيسة الشرقية. ويقال إن الصليبيين قد حملوا الاسم معهم إلى إنجلترا، حيث بدأ ينتشر في القرن الثاني عشر. وكانت صيغته الأولى في أوروبا الاسم اللاتيني Johannes يوهانس، والذي اختصر إلى Johan يوهان وJon، ثم John (يوحنا).

### ٢- صياد سمك من الجليل

كان يوحنا الابن الاصغر لزبدي وسالومة، ولهذا السبب يمكن أن يسمى باسم أخيه، يعقوب، (يرجي من القارىء أن يتذكر أن الكثير مما قلناه عن يعقوب ينطبق أيضاً على يوحنا). ويوحنا بالمثل أصغر تلميذ سناً بين تلاميذ المسيح وأطول رسول من رسل الكنيسة عمراً. وطوال رحلة المعلم على الأرض، فإن الترتيب «يعقوب ويوحنا» يدل على الترتيب من حيث الأولوية في الميلاد (لو ٩:٢٨ هو الاستثناء الوحيد فقط). جاء يوحنا من عائلة ميسورة مادياً تقريباً، لأن والده زبدي كان يمتلك عدداً من القوارب، وكان يستأجر خداماً لمساعدته في مهنة صيد السمك المربحة (مر ١:١٩، ٢٠). من المرجح أن مركز يوحنا كان أفضل إلى حد ما من مجرد صياد سمك عادي بسبب الأجراء الذين كان والده يستعين بهم.

ربما كان زبدي له نفوذ كبير (مت ٢٧:٥٦، يو ١٨:١٥، ١٦، ١٩:٢٧). ومن المؤكد أنه كان مشهوراً في بلدته، بيت صيدا (يو ١:٤٤). ومع ذلك لا يذكر شيء عن رد فعله تجاه قرار ولديه بترك مهنة العائلة واتباع المسيح. لم يخبرنا الكتاب إن كان مسروراً أو متألماً بتركهما لحرفتهما وبيتهما. أما عن أم يوحنا، سالومة، فقد كانت

تلميذة ليسوع، واتباعها إياه يوحي بأنه بعد ترك الولدين للبيت، مات زبدي، وتم بيع معدات الصيد، مما أتاح لسالومة أن تكون إحدى النساء اللواتي خدمن يسوع من أموالهن. ياله من امتياز روحي عظيم أن نكون أطفالاً في بيت تقي!

لابد أن يوحنا، بامتهانه مهنة والده، كان معتاداً على مواجهة الخطر والمصاعب، ولتعرضه لكل أنواع الطقس، ولكل أشكال المخاطر المرتبطة به. لابد أن رجولته قد أشتد عودها، مما جعله قادراً على تحمل كل تجارب الخدمة لأجل المعلم. ومن المرجح أنه بسبب مهنة أبيه المربحة، فإن يوحنا لم يعرف الفقر أبداً حتى اشترك فيه مع يسوع. ألا يمكنك أن تتصور يوحنا يعمل بيديه التي أضناهما التعب، وملامحه التي اكتسبت لونا برونزياً بسبب البحر والعواصف؟ كان قوياً وجسوراً، يتسم بشجاعة في مقابل أي طارىء، ولم يكن يهزه أي مصدر عادي للخوف. هل يمكن أنه بسبب قوته، ورقته، اعتمد عليه يسوع طلباً للمساندة ووثق فيه؟ وبسبب كل امتيازات شبابه وقوته وشجاعته فنحن لا نندهش لأن اختيار المخلص ليوحنا كان له ما يبرره بسبب كثرة المؤهلات التي كانت تتطلبها التلمذة فيه.

يقول دانيل ماكلين إن مزاج يوحنا كان يتلاءم مع مكانته في العائلة، وأنه كان متاحاً له أن يمارس ما يحبه بسهولة أكبر من أخيه الأكبر يعقوب. «يبدو أنه كان الابن الموهوب - عبقري العائلة، كما نقول - ومن الواضح أنه كان مزوداً بمواهب روحية على مستوى عال، وبالاختصار، فإن بصيرة الشاعر وبُعد نظر النبي كانتا من الصفات الفطرية فيه، وقد مكنته مهمته السهلة في البيت، بالإضافة إلى عمق تفكيره، من الامتثال للدوافع التي أيقظتها موجة الإثارة التي خلقها يوحنا المعمدان».

يؤكد بعض الكُتَّاب الأوائل أن يوحنا يبدو دائماً أنه عاش حياة العزوبية فقد أعلن أمبروز بقوة أن جميع الرسل كانوا متزوجين باستثناء يوحنا وبولس. وفي العصور الوسطى، كان هناك من يحاول دون نجاح أن يقول إن يوحنا كان هو الشخص الذي كان يتزوج في عرس قانا الجليل، وأنه عندما رأى يسوع يحول الماء إلى خمر، فإنه أصبح تلميذه على الفور. ما هو واضح تماماً حقيقة أن يوحنا كان له بيته الخاص والذي أصبح بعد موت يسوع بيتاً لمريم، أم يسوع. كان من خلف يوحنا وأخيه الأكبر يعقوب، تأثير منزلي مبارك لابد أنه شكل حياة يوحنا العائلية. وعلى الرغم أنه لا ذكر للتأثير الذي كان لوالده، زبدي، على حياته، إلا أنه لابد أن يوحنا قد تأثر كثيراً بحياة أمه العزيزة وشهادتها. نحن لا نعرف متى أصبحت سالومة تلميذة للمسيح، فمن المرجح أن ذلك لم يحدث سوى بعد أن تلقى ولداها الدعوة لاتباعه، وإذا كان مما يسجل ليوحنا أنه كان السبب في الاتيان بأمه إلى المسيح، فلابد أن قلبه قد شعر بقدر كبير من الإثارة عندما لاحظ تكريسها المخلص والمتزايد لشخصه.

### ٣- تلميذ للمعمدان

لإتمام إرادة الله في عمل الله، على المرء أن يكون لديه استعداد روحي كاف وأكيد فلا شيء ذو قيمة ودائم يمكن أن يأتي من فراغ. لقد بدأ يوحنا الاستعداد لخدمته لجميع الأمم ولكل العصور، كتلميذ ليوحنا المعمدان. ونحن لا نعرف كم من الوقت قضاه مع المعلم في الأماكن الصحراوية! وكل الذين جاءوا له اعترفوا بخطاياهم، وتعمدوا، واعترفوا أنه نبي مرسل من الله. نتج عن احتكاك يوحنا بالمعمدان تغير روحي مفاجيء. فكيهودي تقي متحمس يعرف واجباته جيداً، توقع يوحنا مجيء المسيا، وعندما أعلن المعمدان أنه قد أتى ليعد الطريق

للمسيا الموعود به منذ أمد طويل، آمن به.

يالها من أيام زاخرة بالأحداث تلك التي قضاها يوحنا وسط الجموع عند نهر الأردن، وهو يستمع للكرازة القوية للمعمدان الذي اتسم بشيء من روح وقوة إيليا! كم تأثر يوحنا تأثراً بالغاً لشخصيته القوية والتعليم المذهل للمعمدان! وعندما أتت الساعة وظهر يسوع، وأشار المعمدان إليه، قائلاً: «هوذا حمل الله!». كم امتلأ قلبه بالفرح لرؤية المسيا. ولأنه كان ملماً بالعهد القديم، فقد كان على دراية بكل ما يتعلق بخروف الفصح، وبالنبوة عن أن المسيا سوف يأتي هكذا (إش ٥٣:٧). ولذلك، فعندما أشار المعمدان إلى يسوع كحمل الله الذي جاء ليرفع خطية العالم، ترك يوحنا المعمدان وتبع يسوع، ومن المرجح أن «التلميذ الآخر» الذي كان مع أندراوس كان يوحنا، وأنه أخفى اسمه بقصد التواضع (يو ١:٣٥، ٤٠).

من الواضح أنه كان هناك شيء ما في دعوة المعمدان لمست أوتار قلب كل من هذين الصيادين اللذين كانا يراودهما الأمل في مجيء المسيا. وكما عبر أحد الكتاب عن ذلك فقال: «لمست رسالة الكارز الغيور أعمق الأشواق القلبية، وشدتهما إلى ركب هذا الغريب بقوة جاذبة لم يستطيعا مقاومتها أو تفسيرها». منذ تلك الساعة صار قلب يوحنا أسيراً، ولم تفارقه فكرة رؤية يسوع كحمل الله. لقد أصبحت هذه الحقيقة أكثر وضوحاً عندما رأى المسيح يساق إلى الذبح، ويصلب على صليب. فقد أصبح «الخروف هو الخروف المذبوح» الحقيقة الرئيسية للإنجيل، والرسائل، وسفر الرؤيا وهي الأسفار التي كتبها. يشير يوحنا أكثر من عشرين مرة في السفر الأخير من الكتاب المقدس إلى الخروف، ويمجده كالموضوع المحوري للترنيمة الأبدية أمام العرش. كانت كرازة المعمدان صارمة، ولا تعبر عن الرقة التي تعلمها يوحنا من يسوع، والتي جعلته عظيماً كالكارز بالحَمَل الثمين.

كانت هناك أربع مراحل في التنمية الروحية لدعوة يوحنا وإرساليته:

١- متجدد وتلميذ ليوحنا المعمدان (يو ١:٣٥، ٤٠).

٢- اتصال وثيق بالمسيح عندما ترك المعمدان (يو ١:٤) فصار من أوائل التلاميذ الذين تمت دعوتهم.

٣- تلمذة تحت قيادة وتدريب المعلم (مت ٤:٢١، ٢٢).

٤- رسول لأكثر من ٧٠ سنة (لو ٦:١٣، ١٤). كان يوحنا من أوائل الرسل الذين ذكرت أسماؤهم (مت ٤:١٨-٢٢).

كان الهدف الذي أمام يسوع وهو يختار الرسل بعد ليلة صلاة (لو ٨:١٢)، أن تنتقل الخدمة إليهم، فقد كان يعلم أنه لن يبقى في العالم ليكرز لكل الناس. كانت تلك المهمة ستنتقل إلى أتباعه، فإذا فشلوا، فإن الكنيسة التي تخيلها يسوع سوف يتأثر نموها إلى حد خطير. ولكن كما يثبت سفر أعمال الرسل، فإن الرسل قد نجحوا نجاحاً منقطع النظير. كان خلاص العالم الهالك والخاطيء ليتم فقط عن طريق المخلص - وكانت كرازة العالم رسالة أولئك الذين كانوا شهوده. كان اختيار يوحنا كواحد من المفسرين الأوائل لرسالة المسيح المخلصة قد أتت بثمار كثيرة، لم يكن يوحنا، جنباً إلى جنب مع بقية الاثنى عشر المختارين، يمتلك الثروة، والمركز الاجتماعي، أو النفوذ السياسي، ومع ذلك فقد ذهبوا جميعاً ليكرزوا بالإنجيل للعالم وليس لبلد واحد أو إقليم معين (يو ٣:١٦).

### ٤- ابن الرعد

ما قلناه متعلقاً بهذه السمة المميزة في تصويرنا ليعقوب، مناسب هنا ونحن نتأمل في أخيه يوحنا. كان كلا الأخوين غير متسامحين، يكرهان الظلم وسوء المعاملة،

وكانا صارمين في موقفهما من المعتدين، وقد وجدا أنه من الأسهل بكثير أن يطلبا إنزال نار من السماء، من أن يقابلا الإهانة بالوداعة، وعندما كانا يشعران بالتعب والإرهاق، كانا يذهبان إلى قرية أخرى. ولذا فقد كان على يوحنا أن يتعلم درس التواضع «لستما تعلمان ما تطلبان» (مت ٢٠:٢٢). لم يكن الاندفاع من طرق المعلم، ولا يصح أن يكون طريقة يوحنا. لقد أصبح «ابن الرعد» ابنا للمحبة بالنعمة الإلهية. يبدو أن يوحنا كان أكثر شجاعة من بطرس ويعقوب، وقد ظل «ابن الرعد» بحق في تقديم مطالبه إلى الرب، وتقديم مطالب الرب إلى الناس بقوة وحماس.

عندما نأتي إلى تفنيد يوحنا القوي للآراء الزائفة عن المسيح في رسائله، نشعر بحيوية قوية ونشاط، وفكر دقيق قادر على مواجهة أقوى المهاجمين للحق والتعامل معهم. يخبرنا الدكتور إلدركمنج أنه اعتاد على أن يتساءل عن السبب في أن هذا الاسم الجديد «ابن الرعد» الذي أطلقه المسيح على يوحنا وأخيه لم يستخدمه يوحنا أو يعقوب، كما استخدم بطرس اسمه سمعان، ولكن كما يمضي الكاتب إلى القول: «لقد توصلت إلى أنه لم يكن اسماً جديداً» بل اسماً «للإنسان العتيق» في فترة الشباب، كان عليه أن يمضي ويفسح الطريق «للإنسان الجديد» في المسيح. «ابن الرعد» رجل ينفجر فجأة في ثورة غضب بصوت عال، وعينين لامعتين - عاصفة تمضي في دقائق قليلة... لقد انقشعت سحابة الصباح، المظلمة، والمنذرة السوء، وكان غروب الشمس هادئاً، واضحاً، وجميلاً للغاية. لقد أصبح ابن الرعد ابنا للسلام».

**٥- المؤتمن على أسرار المسيح وصديقه الحميم**

يطلب منا بولس أن نجد بحماس للمواهب الروحية، ونحن نكتشف أننا نشتهي مكانة يوحنا أكثر من صدارة بطرس أو عرش يعقوب. وعندما يذكر الثلاثة سوياً يكون الترتيب كالآتي «بطرس، ويعقوب ويوحنا»، ولكن إذا كان بطرس ويعقوب يأتيان في المركز الأول بين الاثنى عشر، يأتي يوحنا في المرتبة الأولى في الاستحواذ على محبة سيده. ربما يكون بطرس ويعقوب قد شغلا المقام الأول في الكلية الرسولية، ولكن يوحنا احتل المركز الأول في قلب المسيح. ولذلك فإن الوصف الأجمل والأكثر بركة والذي يمكن أن يحظى به أي تلميذ كان من نصيب يوحنا في العبارة التي قيلت عنه «التلميذ الذي كان يسوع يحبه». صحيح أنه أحب جميع الذين اختارهم (يو ١٣:١ . ٢)، ولكنه بكيفية ما أحب يوحنا كنفسه. لقد أصبح يوحنا رجلاً بحسب قلب الله. كان المعلم يسر كثيراً في صحبته لأنه وحده قريباً من نفسه. وعلى الرغم أنه لم يكن يحابي أحداً إلا أنه كان يجد في يوحنا القدرة العميقة على التأمل في الحقائق الروحية، وهي نوع من البصيرة الروحية التي تمكنه من فهم خطته.

بالنظر إلى ربه، تغير يوحنا إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد. وبالإضافة إلى ذلك، فإذا كان هو التلميذ الذي كان يسوع يحبه، فإن تلك الميزة توحي بأن يوحنا كان التلميذ الذي أحب يسوع أكثر من الكل، وبقوة محبته له كان يمتلك حساسية صادقة ورؤية حادة البصر لفكر معلمه وروحه. عندما كان يوحنا يتكيء في حضن يسوع، فإنه كان يعرف شيئاً عن دقات قلبه. كانت مثل هذه المكانة شرفاً يسعى إليه الكثيرون في رابطة المحبة.

كان تواضع يوحنا الجم والذي يرى في الطريقة التي يخفي بها جدارته وكرامته، يظهر في إنجيله، عندما يتحدث عن «التلميذ الذي كان يسوع يحبه». إنه يحذف اسمه كالتلميذ المتميز، تاركاً القاريء يخمن من هو الشخص الذي سمح له بالحصول على كل امتيازات ومقدسات صداقة المسيح. إن الشخص الذي كان أقرب

المقربين له، وأكثر الأصدقاء حميمية هو الوحيد الذي كان بإمكانه أن يفهم محبة قلبه، وهو الذي يستطيع أن يكتب عن تلك المحبة كما لا يستطيع شخص آخر أن يفعل. إن كل تعليم يوحنا عن المحبة نابض الحياة عن المعرفة القلبية الاختبارية العميقة من شخص سبر أغوار تلك المحبة. والتأكيد على محبة ربنا ليوحنا لافت للنظر بنوع خاص، لكونه موجوداً في خمس فقرات، أربع منها تحوي أحد معاني المحبة، وفقرة واحدة تحوي الكلمة اليونانية الأخرى المترجمة (محبة) والكلمة الأولى تعني الحب غير الأناني، المحبة التي لا تطلب أي مقابل (يو ١٣:٢٣، ١٩:٢٦، ٢١:٧، ٢٠-٢٣، انظر ٢٠:٢). وفي كل حالة نلاحظ أن المعنى الحرفي هو «الذي استمر يسوع يحبه» والكلمة التي يستخدمها يوحنا في مقابل يحب في حادثة القيامة هي نفس الكلمة التي استخدمها عند الحديث عن محبة الرب للعازر (١١:٣، ٢٠:٢) لقد ظلت محبة يسوع ليوحنا واهتمامه به باقيين وقد أعلنا عن نفسيهما بالعديد من الطرق لصالح التلميذ.

ثم إنه لا يوجد شيء جائر في شوق ربنا لمقابل نظير المحبة «أتحبني؟» (يو ٢١:١٥). فبعد سنوات من تلك الحادثة استطاع يوحنا أن يكتب قائلاً: «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً». كل شيء نقي وصادق في رغبة المسيح أن يجد نفسه محبوباً من قبل خاصته. كم هي معزية تلك العبارة التي تقول «الذي كان يسوع يحبه» أي، بمحبة متشبسة بنا لأن محبته من النوع الذي لا يجعلنا نفلت منه! نحن محبوبون بمحبة أبدية».

التلميذ الذي كان يسوع يحبه! ألا ينطبق هذا على كل واحد فينا، وعلى جميعنا، المفديين بدمه الثمين؟ لا تكون المحبة مؤثرة، إلا إذا كانت فردية وشخصية. ولأن المسيح أحب الجميع ومات لأجل الجميع، فإنه أحب كل واحد ومات لأجله. يمكن ترجمة «العام» إلى «خاص» فنصيح مع الرسول بولس قائلين: «الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي!» (غل ٢:٢٠). عندما وصف يوحنا حادثة تسليم يسوع صور نفسه حين قال: «وكان متكئاً في حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه» (١٣:٢٣).

يخبرنا الدكتور ج.ب جونز عن بستاني خاطب قطعة من الطين عبقة الرائحة في بستانه فقال لها: «ما هويتك؟ هل أنت وردة؟» أجابت قطعة الطين: كلا، ولكنهم وضعوني بجوار وردة» ألا نحصل على بركة مضاعفة، إذا كنا، مثل يوحنا، تلتصق بنا رائحة المسيح الذكية، نرجس شارون، ونعرف معنى أن نصبح كالورد في حين أننا لسنا سوى طين الأزقة؟

هناك دليل علني ومؤثر على صلة المحبة المقدسة القائمة بين يسوع ويوحنا يُرى عند الصليب حيث يبدو أن يوحنا هو الرسول الوحيد الحاضر، مع أن بطرس يعلن أنه، هو أيضاً، كان شاهداً على صلبه على عود الصليب (أع ١٥:٣). ولاهتمامه بمستقبل مريم، فإن يسوع في رقة محبته يستودعها لرعاية يوحنا الذي كان يسوع نفسه يحبه أكثر من الآخرين، لأنه كان بمقدوره استقبال محبته أكثر من الآخرين.

كان هذا الاستيداع الجاد المثير للحزن مزدوجاً، لأن قلب يوحنا المحب سوف يجد، كما أنه سوف يعطي عطفاً ومساندة حباً للأم. ومنذ تلك الساعة المقبضة، فإن التعاطف المتبادل لخسارتهما المشتركة قد أثبت أنه مصدر لمحبة كل منهما للآخر. وكما قرأنا «من تلك الساعة» فإن أي بيت كان ليوحنا كانت مريم تشاركه إياه. ولا يسعنا سوى أن نتساءل عن السبب في عدم ترك مريم في رعاية أخوة يسوع الآخرين، هل كان ذلك بسبب موقفهم من يسوع، لأنه في ذلك الوقت لم يكن إخوته يؤمنون به (يو

٧:٥،٧)؟ نحن نقول إن «الدم أشد كثافة من الماء». ولكن تسليم مريم لتكون في رعاية يوحنا يثبت أن «الروح أشد كثافة من الدم». إن أصدق رابطة بين الناس هي التعاطف مع المسيح. فالمحبة له هي العامل المؤثر الذي يحرك أصدق المشاعر الإنسانية، ولذلك فإن الفرص المتاحة ليوحنا من قبل ربه المالك بإظهار حبه نيابة عنه، كانت ذات قيمة عظمى لتنمية شخصيته.

لاشك إذن أن يســـوع لم يكن في إمكانه أن يعطي شهادة أعظم، في إظهار حبه الخاص ليوحنا، من أن يستودع أمه، التي كان يكن لها معزَّة أكثر من كل الأقارب الأرضيين، إلى رعاية يوحنا واهتمامه. ألا نستطيع أن نتصور كيف وقف يوحنا بجوار مريم، يساندها بذراع قوية في ساعة آلامها الشديدة، ثم عندما انتهى كل شيء اقتادها بعيداً إلى مسكنه الخاص، الذي كان عليها أن تشاركه فيه حتى وفاتها؟ لم يستطع يوحنا أن ينسي لغة المحبة من قبل معلمه له قبل موته، ألم يكن هو آخر صديق تحدث معه قبل أن يموت؟ كان يسوع يعلم أن يوحنا مزود بعناصر قوة الشخصية الفطري منها والمكتسب، مما يجعله قادراً على تلبية المتطلبات الموضوعة على عاتق التلميذ الذي أحبه، كان العبء موضوعاً على الكتفين المناسبتين، لقد أعطى شرف القيام بأسمى مهمة لذاك الذي تشرَّب من روحه، وامتلأ برقته وعطفه. ليتنا نتأكد أننا لا نضطلع بأعباء أسمى مما نكون مستعدين لها بالفعل!

### ٦- بشير المحبة

يقول الأسقف المبجل روبرت لوث Robert Lowth :

«إن الله الذي يوزع نعمه ومواهبه بكثرة كما يشاء، يبدو أنه قد أعطى ليوحنا بصيرة خاصة لفهم أسرار المحبة الإلهية. ثم أن يوحنا يجد متعة خاصة في توسيع نطاقتها، وهو يتعامل معها بطريقة بسيطة وغير مفتعلة، ولكن بفصاحة رفيعة المستوى تفوق القواعد الفنية البشرية، ولا يمكن نسبتها سوى للروح القدس الذي أعطاه هو الأقوال التي تفوه بها».

ثم أنه بسبب حياة المحبة التي شارك فيها يوحنا يسوع، والأهمية التي أولاها للمحبة في كتاباته اكتسب يوحنا لقب «رسول المحبة». ففي إنجيله ورسائله، قدم للعالم تعريفاً للمحبة لا يوجد في كتابات أي كاتب آخر، متديناً كان أم دنيوياً. ومثل هذا الإعلان عن المحبة ما كان من الممكن التوصل إليه سوى من الاحتكاك الشخصي الوثيق بمحب البشر نفسه. فبعد أن اجتاز يوحنا كل اختبارات النمو الروحي، أدرك أن محبة المعلم قد جعلته أسيراً لهذا الحب. ولهذا السبب استطاع أن يتحدث عن نفسه بتأكيد خاص، «كالتلميذ الذي كان يسوع يحبه» كما لو كان مصراً على أن الإنجيل هو نظرية حياة كما أنه اختبار عملي يقوم على مبدأ عظيم واحد هو المحبة.

يستخدم يوحنا مصطلح المحبة في كتاباته أكثر من ثمانين مرة، ولم تكن المحبة التي تحدث عنها المسيح بالنسبة له إحساساً عاطفياً، بل مبدأ، وفضيلة مغيرة للحياة. والمادة التي يسجلها يوحنا عن المحبة الإلهية يمكن تصنيفها هكذا.

١- الله إله المحـبـــة (يو ٥:٤٢، ١٥:١٠، انظر لو ١١:٤٢).

٢- الله أحب ابنه (يو ١٠:١٧، ١٥:٩، ١٧:٢٣، ٢٤، ٢٦).

٣- الله أحب تلاميذ المسيح (يو ١٦:٢٧، ١٧:٢٣).

٤- الله يحب كل البشر (يو ٣:١٦).

٥- المسيح يحب الله (يو ١٤:٣١).

٦- المسيح أحب التلاميذ عموماً (يو ١٣:١-٣٤، ١٤:٢١، ١٥:٩،١٠).

٧- المسيح أحب الأفراد (يو ١١: ٥، ٣٦، ١٣: ٢٣).

٨- توقع المسيح من كل البشر أن يحبوه ويحبوا الله (يو ٨: ٤٢، ١٤: ٢٣).

٩- تعليم المسيح أننا يجب أن نحب بعضنا بعضاً (يو ١٣: ٣٤، ٣٥، ١٥: ١٢، ١٣).

١٠- أكد المسيح أن المحبة هي خلاصة وجوهر الناموس، ويمكن حفظ الناموس بحق عندما يحب الإنسان الله والقريب (خر ٢٠: ١-١٧، مت ٢٢: ٣٦-٤٠).

وبالإضافة إلى مواهب الأخرى، كان قلب يوحنا مفعماً بالمحبة. فإذا كان بطرس هو الأول في الترتيب. فلا شك أن يوحنا كان يحتل المرتبة الأولى في المحبة. فالمحبة بالنسبة له، كما يوضح في رسالته الأولى - هي الحياة - فالمحبة دليل على الحياة - والدليل على المحبة حفظ وصايا المسيح. والله محبة، وكما هو، يجب أن نكون نحن في هذا العالم. وحيث أن يوحنا كان محبوباً حباً جماً من المسيح، فقد أصبح يمثل الصدى المستجيب لهذا الحب - المرآة التي تعكس الصورة - والقيثارة التي تستجيب للمسة يد الموسيقار الماهر.

يقال إنه عندما كان يوحنا في أفسس، فلكونه مسناً، كانوا يقتادونه إلى الكنيسة هناك ليجيب على كل الاستفسارات المتعلقة بالإيمان، وكان يجيب دائماً بنفس العبارة «يا أولادي حبوا بعضكم بعضاً». وعندما كان ينفذ صبر الناس من هذه النصيحة الثابتة غير المتغيرة ويسألون عن السبب في عدم تغييرها، كان يوحنا يجيب بالقول إنها وصية ربنا، وأنه إذا اتبعت لوحدها، ففي ذلك كل الكفاية. يا أحبائي، دعنا نحب، لأن المحبة هي الراحة!

**٧- شاهد أمين**

يبدو أن كتّاب الكتاب المقدس كانوا يستخدمون كلمات أساسية معينة، كان تكرارها يدل على حقائق يريدون تأكيدها. ومن بين الكلمات الأخرى الأساسية ليوحنا، والمتكررة في إنجيله، ورسائله، وسفر الرؤيا كلمة «شاهد» وهي كلمة مستخدمة ٣٠ مرة.

ولكن الكلمات المشابهة مخفية جزئياً بواسطة الترجمات العديدة، فالكلمة «كتب» مستخدمة ١٣ مرة، وكلمة «يشهد» و«شهادة» مستخدمة ٢٥ مرة، كل هذه الكلمات الثلاث من أصل يوناني واحد، وهي قريبة من اللفظ «شهيد» يقدم يوحنا إنجيله بالتركيز على عمل يوحنا المعمدان كشاهد للمسيح كالنور، وأنه عن طريق مثل هذه الشهادة يؤمن الناس به. ولكن الرسول قدم شهادة أعظم (يو ٥: ٣١-٤٧).

ولأن يوحنا كان قريباً وشاهد معلمه يموت، فقد استطاع أن يكتب شهادته بأن كل ما رآه حقيقي (يو ١٥: ٢٧) ولأن يوحنا يعيش في السماء مع جميع الذين عرفهم وأحبهم. فقد كانت له شهادة لا يستطيع أحد مهاجمتها (يو ١٩: ٣٥، ٢١: ٢٤)، المسيحية حقيقية، وهي مؤسسة على حقيقة. يضع يوحنا مالا يقل عن سبعة أشكال من الأدلة التي يمكن الاعتماد عليها:

١- شهادة يوحنا المعمدان، الذي مهد الطريق ليسوع (يو ٥: ٣٢، ٣٣).

٢- شهادة الكتاب المقدس (يو ٥: ٣٩).

٣- شهادة الآب (يو ٥: ٣٧).

٤- شهادة المسيح نفسه (يو ٨: ١٤).

٥- شهادة معجزات المسيح (يو ٥: ٣٦).

٦- شهادة الروح القدس (يو ١٥: ٢٦).

٧- شهادة التلاميذ (يو ١٥: ٢٧).

إن إنجيل شخص ربنا يسوع المسيح وعمله يأتيان لنا على أساس الشهادة الإلهية والبشرية المؤكدة ويأمر كلُ منهما أن نؤمن ونحيا (١يو ٥: ٧-١١). لاشك أن يوحنا

كان رائياً، ومؤشرات قدرته الرؤوية مقدمة لنا قبل صعود المسيح، وكان يوحنا أول من رأى حقيقة القيامة، وكشاهد مدقق وصف كل ما رآه، حتى موضع الملابس المتروكة. ثم أنه كان أول من عرف شخص الرب على شاطيء البحيرة عندما ظهر للتلاميذ بعد ليلة شاقة لم يصطادوا فيها شيئاً، ومرة أخرى فإنه كشاهد وصف كل ما حدث. ولكن قدرة يوحنا كرائي كانت في أحسن حالاتها في سفر الرؤيا – وهو سفر يصبح أكثر روعة كلما تمت دراسته بعمق. يا لها من شهادة لانتصار المسيح النهائي، فإذ يشهد فيه يوحنا لكل ما رآه، فإنه يقدم الحقائق الأساسية لإنجيل المسيح (رؤ ١:٤-٨)، وفي كل جنبات السفر، نرى المسيح ممجداً «كالشاهد الأمين».

قبل أن يتمكن يوحنا من الشهادة للعالم بالحقائق العظيمة التي أراد الله أن يظهرها، كان من الضروري بالنسبة له أن يرى المعلم الذي طالما أحبه وخدمه في مجده السماوي (رؤ ١:١٠-٢٠). وما رآه وسمعه كتبه في كتاب، يمكن تلخيص محتوياته هكذا:

١- رؤية الرب يسوع المسيح في كل جلاله.
٢- رؤية كنيسته على حقيقتها.
٣- رؤية العالم الهالك بكل ما يحمله من عداوة.
٤- رؤية الأبدية بكل أمجادها.

استمر يوحنا لأكثر من سبعين سنة يقدم شهادة حاسمة جريئة لمعلمه، وقد خلق بذلك في قلوب القديسين من كل العصور كلاً من العجب والإيمان. وفي كل الظروف قدم الرسول شهادة تحمل اعترافاً عظيماً. كان حبه مركّزاً دائماً على معلمه، وكانت شهادته وعمله دائماً لمجده. شهد يوحنا في إنجيله لحقيقة أن رجل الجليل هو الله، وشهد في رسائله أن الله قد صار إنساناً، وفي سفر الرؤيا شهد بأن النصر النهائي الشامل على كل قوى الشر سوف يكون للرب يسوع – الله الإنسان. قام اللاهوتي الفرنسي الشهير جوديت، بتقديم هذا الوصف الملائم للشهادة المؤثرة ليوحنا في العصر الرسولي.

دقت ساعة العمل في المقام الأول لبطرس. فقد أسس الكنيسة في فلسطين، وأقام راية العهد الجديد على أنقاض حكم رجال الدين من الفريسيين والصدوقيين، وتبعه بولس، وكانت مهمته تنحصر في تحرير الكنيسة من قيود اليهودية التي تلفظ أنفاسها، وأن يفتح باب ملكوت الله للأمم.

خلفهما يوحنا، والذي كان أول من أتى، ولكن أبقاه المعلم ليكون آخرهما، أكمل يوحنا إندماج تلك العناصر المختلفة التي تكونت منها الكنيسة، ورفع المسيحية إلى مرتبة الكمال النسبي والتي كانت قادرة عليه وقتئذ. ولذا يمكن أن يقال إن:

بطرس كوّن الكنيسة الأولى
وبولس حررها
ويوحنا أسسها

## ٨- كاتب ذو شهرة

ذكر السير فيليب سيدني، ١٥٥٤-١٥٨٦ في إحدى قصائده الشعرية هذه العبارة: «قالت لي ملهمتي ربة الشعر: انظر إلى داخل قلبك واكتب» هذه هي الطريقة التي كتب بها يوحنا، الذي أحب أن يستخدم القلم والحبر والورق (٢يو ١٢، ٣ يو ١٣). وكانت كتابته على أعلى مستوى روحي لأن قلبه كان قصراً للملك الذي أحبه وأطاعه. تحدث اللاهوتي لوك Lucke بحق عن يوحنا فقال: «إنه يعيش وسوف يعيش دائماً وأبداً بكتاباته، والمستقبل ينتمي له، كما ينتمي الماضي» فالرسول الذي يعد من أقرب المقربين إلى المسيح، والذي اتكأ على صدره، أبقاه الله على قيد الحياة سنوات طوال ليكتب لأجل الكنيسة المسيحية ككل، وللعالم على نطاق واسع. وعلى

العموم، فقد كتب يوحنا كشاهد عيان (١يو ١:١). كانت له أفضل السبل حيوية لوصف الأشخاص والأحداث وإذا نقلب في صفحات إنجيله على سبيل المثال، نجد دقة الوصف، وإعادة تمثيل للمشهد كله كما لو كانت ذاكرته تحوي صوراً فوتوغرافية، وهي ذات قيمة أعظم من أي عدد من الاقتباسات الفردية (اقرأ يو ١:٣٨-٥١، ٢:١٣-١٧، ٨:٢٠-١٠). يتذكر يوحنا الأيام والساعات التي حدثت فيها الأحداث، لأنه كان حاضراً، ولأنه كان يكتب من الذاكرة فقد كان يعرف ما حدث في الساعة العاشرة، والسابعة، والسادسة (١:٣٩، ٤:٥٢، ١٩:١٤، إلخ).

أما عن أسلوب يوحنا في الكتابة، قد يذكرنا الدكتور و.جراهام سكروجي أنه «لا يوجد أحد من البشريين لديه مفردات محدودة مثل الرسول يوحنا، ولكن لا يوجد واحد منهم يستطيع أن يستغل ما لديه من مفردات أفضل استغلال مثل يوحنا». كتب جودت عنه قائلاً «إذا لم يكن لدى الكاتب سوى القليل من الألفاظ في مفرداته فإن هذه الألفاظ يمكن مقارنتها بالقطع الذهبية التي يقدم بها السادة العظام المكافآت السخية». إن أسلوب يوحنا فريد من عدة نواحٍ - وهو شيء، يشعر به المرء دون أن يستطيع تحديده على وجه الدقة. يقول الدكتور بلمر Plummor، إن «أقل الناس إلماماً بالقراءة والكتابة يدركون تلك الخاصية، وأكفأ النقاد لا يمكنهم تحليل أسلوبه بما فيه الكفاية». وفيما يتعلق بتكوين الجمل، فإن يوحنا عادة يجعل جمله قائمة بمفردها، حتى أنه على الرغم من وجود التواصل الفكري، إلا أن هناك القليل من التراكيب اللفظية. ويمكننا أن نجد مثالاً لذلك في يو ١:١-٥ R.V، حيث نجد عشر جمل لا يربط بينها سوى (واو) العطف المتكررة ست مرات، وهناك خاصية أخرى لكتابته وهي تكرار كلمة أو جملة للتأكيد على الفكرة المراد توصيلها (٥:٣١، ٣٢، ١٠:١١، ١٠:١٤-١٩إلخ).

هناك خصائص أخرى لأسلوب يوحنا منوه عنها بالتفصيل في تعليق اليكوت في مقدمته عن إنجيل يوحنا، وفي «المرشد إلى الأناجيل» بقلم الدكتور جراهام سكروجي. وعلى العموم، فأسلوب يوحنا «دراسي وليس جدلياً، هادئ، وليس عنيفاً، بسيط، إلا أنه عميق، مباشر أكثر منه غامض، يتسم بالشفافية، وفي نفس الوقت عويص، روحي، وليس تاريخياً. كان وراء قلم يوحنا، فكر ثاقب لأنه كان مفكراً في مرتبة موسى أو بولس. إن زوّار متحف متروبوليتان للفنون في مدينة نيويورك تخلبهم غالباً لوحة «المفكر» وهي للفنان الفرنسي الشهير فرانسوا أوجست رودان، وهي عبارة عن لوحة حجرية لشخص جالس، ينحني إلى الأمام، واضعاً كوعه على الركبة، وذقنه على يده، وهو يحملق بعينيه اللتين تفحصان مجالات الفكر. لابد أن يوحنا جلس كثيراً، وهو يفكر، ويتأمل، مستكشفاً الأمور التي لها علاقة بشخص ربه وأعماله وأقواله، حتى تتضح ويظهر ترابطها المنطقي.

نحن لا نستطيع أن نقرأ كل ما سجله يوحنا دون أن نتأثر بالمركز السامي الذي ينسبه إلى يسوع. لقد كان ربه بالنسبة له الشمس التي يفوق نورها كل ضياء - والحياة السابقة على كل وجود - والعامل المحرك لكل طاقة.. بينما كان يوحنا يجلس ويفكر، كانت أفكاره الرائعة فيما يتعلق بلاهوت المسيح يتردد صداها على مر العصور، صاح كريسوستوم قائلاً :«اسمع كيف يدوي صوت يوحنا كالرعد!» علق أوغسطينوس على الكلمات الافتتاحية لإنجيل يوحنا فقال: «استهل يوحنا إنجيله بكلمات قاصفة كالرعد». ويتحدث بنجل Bengel عن نفس الجزء فيقول: «هذا هو الرعد الذي يأتي لنا به ابن الرعد». يبدو أن يوحنا قد سبر أغوار الرؤيا بينما كل ما قام به آخرون هو

تحريك السطح.» كان يوحنا يتأمل حتى كان خياله يتخذ أجنحة تحلق عالياً حيث كان يسمع ويرى ما يفوق أي شخص آخر. كان التفكير والخيال والبداهة من وراء قلمه القوي، وكذلك «روح الحكمة والإعلان في معرفة» من أحبه.

ولما كان يوحنا ملماً إلماماً رائعاً بلغة بلده، فقد تُرجم من العبرية الأصلية، وما كان ينقصه في أي دقة يونانية في أسلوبه كان يستعيض عنه بوفرة من طريق حماسة نزعته، وفخامة وسمو مادته اعترف باسيل Basil أحد آباء الكنيسة العظام من القرن الثالث بأنه «لا يوجد أحد من بين كل البشيرين الإنجيليين مثل القديس يوحنا، ابن الرعد في سمو حديثه، وارتفاع مستوى أحاديثه عن قدرة أي إنسان على التوصل إليه وفهمه كما ينبغي». ويمكن أن يضاف إلى ذلك شهادة القديس سيريل الاسكندري الذي قال عن كتابات يوحنا:

«انظر لسمو أفكاره التي لا يسبر غورها، وفطنة تناغم منطقه، والاستدلالات السريعة لأحاديثه التي تتعاقب دائماً ويتبع كل واحد منها الآخر، فنحن بحاجة أن نعترف ونقر بأن إنجيله يفوق كل إعجاب».

كان المتصوفون (الباطنيون) القدامى ينظرون إلى يوحنا باعتباره البشير النسر، (النسر الطائر، ملك الطيور رؤ ٤:٧)، لأنه بجناح قوى وعين ثابتة كان قادراً على التحليق في السماوات المفتوحة بإيمان نبوي وكان بمقدوره أن يأتي بسر الله من وراء السحب في أيام الصلب، تلك الأيام الحالكة السواد. كان يوحنا يستجمع رموزه وإيضاحاته من أوسع الميادين. كان بحق الرائي الذي له رؤية النسر، والخيال الجسور والعبقرية الشعرية. كان يوحنا يصور في اللوحات الفنية للعصور الوسطى بوجه امرأة، لأن تشبثه بالثقة وأفكاره المباشرة جعلته المفسر الحقيقي للغة القلب بنوع خاص. ولهذا فإن اللقب الذي أطلق عليه وهو «أفلاطون المسيحي»، لم يأت من فراغ. يقول الكسندر وايت في كتابه الفريد «شخصيات الكتاب المقدس»: «إن يوحنا، ابن صياد السمك لاغير، حباه الله منذ ولادته عقلاً من أذكى العقول التي وهبها صلاح الله لأي من أبناء البشر».

لقد استطاع هذا الجليلي غير المتعلم أن يصبح بفضل قلمه واحداً من الخالدين في العالم. ومع ذلك فإن يوحنا لم يكن يفتخر بكتبه التي لا تضاهي. فقد كان القلم والكتب والشهرة بالنسبة له كغبار الميزان، أو كلا شيء. فإذا تحدث الناس معه عن تأثيره ومؤلفاته، فإن رده الفوري يكون هكذا «حاشا لله أن أفتخر سوى بأن، يسوع أحبني!» لقد جادت قريحة يوحنا بخمسة كتب من الكتاب المقدس حيث كان قلمه مغموساً بمداد الإلهام، وكلها مليئة بما يدل على شخصيته، وعلى الرغم أنه مات منذ عدة قرون، إلا أنه وإن مات يتكلم بعد. وكل أسفاره الخمسة هي نفحات روحية خالصة. ومع أنه ليس لدينا متسع في مجال كلامنا عن الرسل تناول تفسير كل كتاب من كتب يوحنا، إلا أنه يكون من الملائم أن نقدم وصفاً مختصراً لكل كتاب.

## إنجيله

لكون يوحنا يتصف بالتواضع فإنه لم يضع اسمه على هذا الإنجيل الرابع من أناجيل العهد الجديد والذي هو أساساً «إنجيل الحوارات» لأنه يؤكد على تفرد شخصية يسوع أكثر من الأناجيل الأخرى، وذلك من خلال الإفصاح عن مقابلاته ولقاءاته. هناك ٢٤ حواراً مع ١٧ شخصاً، ويمكن عمل قائمة بهم كما يلي:

نثنائيل الذي لا غش فيه

مريم أم يسوع التي احتفظت في قلبها بكل الكلمات التي قيلت لها عن ابنها المبارك، مرتين.

الرئيس المتحير، نيقوديموس.

المرأة السامرية الخاطئة والتي بالرغم من ذلك قدرت ربنا حق قدره.

قائد المئة من كفرناحوم.

رجل مقعد عند بركة بيت حسدا.

أحاديث مع فيلبس، ورجل أعمى، ومرثا، ومريم، ويوحنا، وبطرس - ٤ مرات، ورئيس الكهنة، وضابط، وبيلاطس، ومريم المجدلية، وتوما - الحديثان الأخيران بعد القيامة.

كانت غالبية هذه الحوارات عبارة عن أحاديث موجزة ليسوع، وكان بعضها عبارة عن توجيهات متعلقة بمعجزاته، وكانت مرتبطة بأحوال عديدة مختلفة. توجد في طبعة الـA.V من الإنجيل ٨٧٩ عدداً، هناك ٤١٩ عدداً منها تحتوي على كلمات قالها ربنا، وهي نصف الإنجيل تقريباً. وهناك عبارة محددة فيما يتعلق بغرض ومحتويات إنجيله قد ذكرت قرب ختام الإنجيل وهي: «وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» (٣١:٢٠). يتضح من ذلك إذن، أن يوحنا كان يركز على جانبين واضحين:

١- أن يقود الناس للإيمان الشخصي بيسوع التاريخي كالمسيح، أو المسيا (لليهود)، وكابن الله (للأمم).

٢- أن يقود الناس، عن طريق الإيمان، إلى نوال الحياة باسم يسوع.

يدعو إكليمندس الاسكندري إنجيل يوحنا هذا، بالإنجيل الروحي، وهو يقصد بذلك أنه يحتوى على قدر أقل من الرواية التاريخية عن أي إنجيل آخر، والمزيد من التعاليم، إنه يقدم بياناً أكمل عن الحقائق المسيحية، والمعدلة بطريقة رائعة لتفنيد الهرطقات المختلفة المتعلقة بشخص ربنا المبارك، والتي ظهرت منذ كتابة الأناجيل الثلاثة الأولى. تعد الـ ١٨ عدداً الأولى من الأصحاح الأول مفتاحاً للقصد من الإنجيل كله. ويركز يوحنا بصفة أساسية في إنجيله على الجانب الروحي من شخصية المسيح وتعاليمه. يدعو س.د جوردون هذه الأعداد «المفتاح الرئيسي للباب الأمامي»، وهناك «مفتاح الباب الجانبي» في أصحاح ٢٨:١٦ و«مفتاح الباب الخلفي» في ٣١:٢٠ .

نحن في إنجيل يوحنا نجد أنفسنا في منطقة فكرية مختلفة اختلافاً كبيراً عن تلك الموجودة في الأناجيل الأخرى. وكما يقول اليكوت: «تعبر الأفكار المميزة عن نفسها في كلمات مميزة». وها نحن نورد، بعض هذه الكلمات، التي تعبر الصيغ الخاصة لها عن الأفكار الخاصة التي أتت إلينا عن طريق يوحنا:

النور - ٢٣ مرة

الحياة - ٥٢ مرة

المحبة - ٧ مرات (١٧ مرة في رسالة يوحنا الأولى)

الحق - ٢٥ مرة

حقيقي - ٥ مرات

شاهد - ٤٧ مرة (اسم وفعل)

يؤمن - ٩٨ مرة

العالم - ٧٨ مرة

علامة (آية) - ١٧ مرة

إن لإنجيل يوحنا سمة وتاريخاً فريداً أيضاً. وقد أسماه المعلق لانج: «لؤلؤة بين الأناجيل». بينما كتب عنه ڤان دورين قائلاً: «إنجيل الأناجيل» كذلك قال عنه شخص آخر «قدس الأقداس».

### رسالته الأولى

في أي سفر آخر من أسفار الكتاب المقدس تسطع وجهة النظر السامية عن محبة الله بوضوح كما في رسالة يوحنا الأولى؟ كان الخطأ الأول الذي أزعج الكنيسة الأولى

يتركز في إنكار الطبيعة البشرية للمسيح، وليس الطبيعة الإلهية فيه. كانت مهمة هذه الرسالة تنحصر في تثبيت المؤمنين بشأن الآراء الصحيحة المتعلقة بشخص ومركز المسيح وطبيعته البشرية والإلهية، وكفارته. ولكن كما في كل كتابات يوحنا لم يكن يتم ذلك في صيغة بحث مجرد، بل بروح تتسم بأقصى دقة تدعو إلى الإقناع.

ويركز يوحنا بنوع خاص على محبة الله في الفداء، ويعتبرها حافزاً للقداسة والمحبة المتبادلة. وهذه الرسالة، في مجملها، مفيدة بشكل خاص، باعتبارها تقدم العديد من الاختبارات التي يمكن بها أن نمتحن صدق مجاهرتنا بالإيمان المسيحي (انظر ١يو ٢:٤، ٥. ١٥، ٣:٧، ٤،١٥: ١٣، ٥:٤،١٨). فإذا كانت هذه الرسالة، كما يقترح الأسقف وستكوت، كانت آخر سفر في العهد الجديد حسب الترتيب الزمني للكتابة، فإن هناك مقابلة مدهشة بين الكلمات الافتتاحية في الكتاب المقدس والعبارة الختامية فيه:

«في البدء خلق الله» تك ١:١

«أيها الأولاد احفظوا أنفسكم من الأصنام»١يو٥:٢١ .

بصمته المعهود يخفي يوحنا اسمه كالكاتب لهذه الرسالة العامة، الموجهة لكل العصور والأماكن. كان يعلم أن الناس سوف تهتم بما تقوله الرسالة أكثر من الاهتمام بمعرفة اسم كاتب الرسالة. ولم يكن أحد يشك في أن الرسالة كُتبت بيد يوحنا الملهم.

## رسالته الثانية

هذه الرسالة الأخرى، والرسالة التالية لها، عبارة عن رسالتين قصيرتين، أو مذكرتين تحتويان على القليل من الأعداد، وموجهتين لأشخاص معينين. فالتعليم والأسلوب والتصميم في هاتين الرسالتين تشهد بأن يوحنا هو كاتبهما. فعباراته جادة وبسيطة، قصيرة، ونافذة، وسواء كانت هذه الرسالة موجهة إلى كنيسة أو لعائلة فهذا سؤال قابل للنقاش. فمن بين الـ١٣ عدداً التي تحتويها رسالته الثانية، هناك ثمانية أعداد موجودة بجوهرها في الرسالة الأولى.

فإذا كانت موجهة لأم مسيحية، سيدة من أصل نبيل، لتحذيرها من الخطأ الشائع في ذلك العصر، فيما يتعلق بشخص ربنا المجيد، فهي إذن تتضمن أهمية الأم المسيحية في نظر الله، والجدية التي يجب أن تتعامل بها مع الحرب الروحية لأولادها والتشجيع الذي يجب أن تقدمه للخدام المسيحيين، وتثبيت دعائم الحق، بعمل ذلك.

## رسالته الثالثة

كانت هذه الرسالة القصيرة موجهة إلى غايس المحسن والمضياف، والصديق المحبوب ليوحنا، والشخص الدمث المضياف لكل المؤمنين المحتاجين. من المرجح أن غايس هو الشخص الذي ذكره بولس (رو ١٦:٢٣، ١كو ١:١٤)، ولأنه كان يشتهر بنوع خاص بعطفه على الذين كانوا يتجولون للتبشير بالإنجيل، يعبر يوحنا عن فرحه المتزايد لذلك ولأجل الدلائل الأخرى على تقواه. نجد كلمة «الحبيب» ١٠ مرات في رسائل يوحنا الثلاث، وهذا اللفظ الجميل ذو المغزى يعبر عن الوحدة الجذابة في المسيح بين الرسول وغايس.

أما عن ديوتريفس، السيء السمعة بسبب طموحاته غير المقدسة والاضطرابات التي يتسبب فيها، فلا شيء يعرف عنه بخلاف العبارة الوجيزة التي يصف فيها يوحنا شخصيته بوضوح. هناك تناقض لافت للنظر في شخصية غايس، الذي يستخدم يوحنا لأجله لفظه المفضل «الحبيب» للمرة الرابعة في هذه المذكرة الموجزة. يزكي الرسول بشدة ديمتريوس ليكون صديقاً لغايس، كشخص مشهور بأمانته، وتختتم الرسالة بإرجاء الحديث في موضوعات أخرى إلى الوقت الذي يجتمع فيه يوحنا وغايس للحديث الشخصي

فيما بينهما.

## سفر الرؤيا

لايشك أحد في نسبة هذا السفر الأخير من الكتاب المقدس ليوحنا. وعلى الرغم من حجبه لاسمه من إنجيله ورسائله، إلا أنه يستخدمه ٥ مرات في سفر الرؤيا (انظر ١:١، ٤، ٩، ٢١:٢، ٨:٢٢). كتب السير اسحق نيوتن يقول: «لا يوجد سفر في العهد الجديد مشهود له بقوة أو تم التعليق عليه منذ وقت مبكر مثل هذا السفر: ولا يضاهيه سفر آخر في سمو ورفعة مادته». أعطيت الرؤى المتضمنة فيه من قبل المسيح لتلميذه المحبوب، أثناء نفيه في جزيرة بطمس، وقد نشر ليس بعد وفاته بوقت طويل، في حوالي سنة ٩٧م.

وكل ما يجب أن يقال حيال هذه النقطة عن سفر يوحنا الشديد الإثارة هو ما كتبه د.م بانتون Panton ذات مرة:

«يعتبر سفر الرؤيا صدمة للنائم، ولدغة للجسداني، ومقو للأخيار، واستدعاء للموتى، وبالكشف عن الأشياء التي سوف تحدث بالتأكيد، فإنه يضع في أيدينا المفتاح الرئيسي لكل مشكلة معاصرة».

وهو يلقي بالضوء على الماضي كالوميض الكهربائي، وبالكشف عن مصادره، فإنه يكشف عن لب التحركات التي حولنا، حتى تتجه أقدامنا إلى الأبد إلى الطريق الضيق».

## ٩- سجين نيرون

سوف نتعامل في فصل تال عن التقاليد والأساطير المرتبطة بالسنوات الختامية ليوحنا وموته، وفي هذا الفصل فنحن نلفت الانتباه ببساطة إلى السجل الحقيقي لما يقوله الرسول نفسه فيما يتعلق بنهاية خدمته. من المرجح أنه بعد وفاة مريم (التي اعتنى بها يوحنا بأمانة تذكاراً لابنها الذي أحبه كثيراً). قرر بتصميم واضح أن يعطي ظهره لبيت الذكريات المقدسة، ومضى إلى كرم الرب الواسع العظيم. وعلى الرغم من القرون التي تفصلنا عنه، إلا أننا نجد أن الجلال المنفرد ليوحنا باعثاً على الرهبة. كان لبولس العديد من رفاق السفر ومريديه الذين كان يحبهم كثيراً، من أمثال الشاب تيموثاوس، يلتفون حوله. ولكن يبدو أن سجل يوحنا به كثير من الفراغات. بعد صعود المسيح، لابد أن الرسول قام بالخدمة لما يقرب من سبعين سنة، ومع ذلك فالستار لا يرفع بما فيه الكفاية للكشف عن حياته الطويلة.

وعندما يُرفع الستار لآخر مرة، نرى يوحنا رجلاً متقدماً في السن في عزلة المنفى فوق جزيرة معزولة، بدأ يوحنا حياة المعاناة لأجل المسيح عندما قُبض عليه مع بطرس ووُضع في السجن (أع ٤:٣) ولكنه عاش بعد استشهاد بولس وبطرس لما يقرب من ثلاثين سنة. صوَّر الشاعر براونينج في قصيدته «موت في الصحراء» عزلة يوحنا فقال:

مضى وقت طويل
منذ انطلق يعقوب وبطرس عن طريق الموت
وأنا لوحدي فقط، أخوك يوحنا
الذي رأى وسمع، ويستطيع تذكر كل شيء
لم يتبق على الأرض
أحد عائش عرف
ورأى بعينيه ولمس بيديه
ذلك الذي كان من البدء ، كلمة الحياة
كيف سيكون الحال، عندما لا يقول أحد آخر، إني رأيته؟

ولدينا أيضاً هذه السطور الأخرى المعبرة من الشاعر المسيحي:

بما أنني تعلمت من فم المسيح، وقد أمرت أن أعلّم

انطلقت لسنوات طوال أجوب العالم
قائلاً: «كان الأمر هكذا، هكذا سمعت، وهكذا رأيت»
تكلمت حسبما اقتضت الضرورة: وآمن الناس.

ولكن الشهادة الجميلة أتت على فم آخر شاهد بقي على قيد الحياة، وشهد لحياة، وموت، وقيامة وصعود يسوع المسيح. فقد بدأ امبراطور جديد، دومنيان، سلسلة جديدة من الاضطهاد عندما أخذ يكيد للكنيسة. فقد أبلغ شخص من آسيا الصغرى بأنه يوجد مسيحي بارز هناك يبشر بطريق المسيح. وسرعان ما وصل مرسوم من روما يأمر بالقبض على يوحنا ونفيه إلى بطمس. يبدو من السخف أن يخاف أي إنسان من رجل في التسعين من عمره.

فمثل هذا الرجل العجوز كان بحاجة للمحبة الحانية ولكن في بطمس لم يكن هناك أحد ليرعاه. ونحن لا نعرف كم الصعوبات التي عانى منها يوحنا. يخبرنا التاريخ أنه في مناجم الرخام في هذه الجزيرة «كان الرجال يعملون وهم مقيدون بسلاسل تربطهم إلى عربات الأسر». ولما كان يوحنا يفكر في القديسين الآخرين الذين يتحملون أقسى أنواع الاضطهاد، كتب إليهم يقول «أخوكم وشريككم في الضيقة» (رؤ ١:٩). ألا تشعر بإغراء أن تسأل هذا السؤال «لماذا سمح الله لأكثر الناس أمانة له أن يصل إلى السن التي يتخلى فيها النشاط عنه، ولا يتبقى له سوى ثمالة الحياة، كي يتحمل القبضة الحديدية للإمبراطورية الرومانية؟ هل لكي يثبت مرة أخرى أن قوته في الضعف البشري تكمل؟

كان موسى يبلغ من العمر ٨٠ سنة عندما جاءته الدعوة ليقوم بأعظم عمل في حياته، ويوحنا، وها هو قد بلغ التسعين، أو نحو ذلك، كان في بطمس، ولكنه وجد نفسه «في الروح في يوم الرب» وأعطى رؤيا - مجيدة، وملهمة، ومثيرة. «كانت بطمس محاطة بالبحر، مما يجعل الهروب مستحيلاً، ولكن يوحنا، عندما كان في السماء الثالثة سمع الرسالة القائلة: «والبحر لا يوجد فيما بعد» لقد كلف هذا الرجل العجوز بمهمة رائعة. لقد كان هناك أنبياء، ولكن ليس من المبالغة أن نقول إنه فيما يتعلق بالمستقبل، وبنوع خاص المستقبل البعيد، فإن يوحنا في سفر الرؤيا قد تنبأ وعلم أكثر من كل الأنبياء القدامى مجتمعين، وكما يعبر إلدركمنج عن ذلك بالقول:

«لم يسبق أن أتيحت الفرصة لأي إنسان لكي يبدأ رحلة بهذه الروعة والوضوح والمهابة والقداسة، ولكن كان على الله أن ينتظر حتى يبلغ يوحنا من العمر أرذله، وحتى يكاد ينفض يديه من العالم، قبل أن يعهد إليه بتلك المهمة، كانت عيناه وقلبه يتجهان بشكل تلقائي - ربما يجب أن أقول روحياً - إلى ذلك المستقبل الذي كان على وشك الوقوف على أعتابه».

انتصر يوحنا انتصاراً باهراً على العدو الروماني الذي ناصب المسيح وكنيسته العداء. وبالرغم من وجود الخطر بادياً للعيان، إلا أنه لم يكن هناك سبب للخوف، لأنه كان يرى المسيح في وسط كنيسته، وكان قادتها في يده اليمنى (رؤ ١:١٦-٢٠). وهكذا فإنه لولا سجن يوحنا، ما كان يمكنه للكنيسة أن تتاح لها فرصة رؤية المسيح، كرب الحياة، والحارس غير المنظور، والممسك بالمفاتيح.

وكما سنرى في فصل تال. هناك الكثير من التقاليد المتعلقة بيوحنا فهناك أساطير، على سبيل المثال، عن استشهاده، ولكن بعض الآباء الأوائل الذين كانوا من تلاميذ يوحنا قد سجلوا أنه عند إطلاق سراحه من بطمس، عاد إلى أفسس، حيث استغرق في النوم، وانتقل مرة أخرى ليكون في حضرة معلمه، ولكن هذه المرة إلى الأبد، وقبره، مثل قبر موسى، لا يعرف أحد مكانه سوى الله، وكما يعبر دانيل ماكلين عن ذلك بطريقة رائعة فيقول:

«لقد مات يوحنا كما ينتهي يوم صيف قائظ. كان قلبه يتمدد كالشمس الغاربة، وتتحرر السحب من رعدها لتلحق بوهج الشفق ذي الضوء الدافيء كما لو كانت مركبة النار التي حملت إيليا إلى السماء قد عادت برقة وعذوبة لتحمل حبيب الرب إلى أعلى. لقد توّج العصر الرسولي، وختم سفر الإعلان الملهم بنوع من رجع لصدى الوعد الصادر عند صعود المسيح وهو يقول: «آمين تعال أيها الرب يسوع» لقد أتاح له ذلك المجيء الاستمتاع الكامل بما سبق ان رآه في الفكر. وهو الآن يمشي مع المسيح وسط المنائر الذهبية».

يزين قبر د.ل مودي، الكارز الشهير، في نورث فيلد بولاية ماسوشتيس، لوحة حجرية حفر عليها هذا العدد المفضل لديه: «وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد» (١يو ٢:١٧). عندما خط الرسول يوحنا هذه الكلمات فقد كان يكتب بالفعل لوحة التكريم الخاصة بموته.

## ١٠- نموذج يُحتذى

هناك مثل يقول إن «القدوة العملية أفضل من الحديث النظري». ونحن لنا امتياز الحصول على كل من القدوة والحديث النظري من يوحنا مما يتيح لنا الفرصة لكي نحذو حذوه. وما عمله الله لأجل يوحنا ومن خلاله، فهو قادر أن يفعله لأجلنا إذا وطدنا العزم على التمسك بمشيئة الله كما فعل الرسول، وعندما كان رسولاً نراه في العشاء الرباني يتكيء في حضن يسوع وقد أشرنا من قبل إلى تكوينه الشخصي مما أتاح له ذلك الامتياز هل نحب أن يكون لنا نفس امتياز هذه الصلة الحميمة؟ هل نرغب أن نعيش قريبين منه بالدرجة الكافية - أقرب إليه من كل الآخرين - أن نسأله ونستمع إليه وهو يجيب على أسئلتنا؟ إذن فعلينا أن نكون تلاميذاً مثلما كان يوحنا، لأن سره يمكن أن يكون لنا.

المسيح الذي عرفه يوحنا كان مسيح الاختبار الشخصي الذي رآه وسمعه وتعامل معه. فقد كان بالنسبة للرسول نعم الصديق، والنور، والحب، وبالثبات فيه يمكن للمؤمنين أن يكونوا مثله. ربما يكون مجمل تعليم يوحنا لقلبك ولقلبي أن السماء سوف تكون في حضور المسيح. لأن المسيحي الذي أصبح مثله يمكنه، لذلك، أن يراه كما هو. ثم إن حياة يوحنا توضح أن صورة يسوع ترى بأجلى وضوح وتنعكس في حياة أولئك الذين يكونون أكثر استجابة لمحبته، كم نحن مدينون ليوحنا.

إنه الذي يقودنا لنكون في أقدس شركة مع ربنا. وهو الذي يأتي بنا لنرى شفقة المسيح علينا في خطيتنا، وعطفه علينا في حزننا وفقداننا لأعز أحبائنا. إنه هو الذي يرينا كيف نحتفظ بحبنا للمعلم من خلال تجاربنا، وأنه بخضوعنا له، واتكالنا على محبته، نحصل على البركة.

إذن، ألا يمكننا أن نتعلم أكثر الدروس قيمة فيما يتعلق بالنعمة الإلهية، عندما نتأمل في التطوير الروحي الهائل الذي اختبره يوحنا؟ دعنا نتأمل في روح التحزب التي كانت لديه وعدم التسامح، والطائفية والتنافس الديني، ومزاجه الحاد الذي دفعه ليطلب نزول نار من السماء لتحرق السامريين، وتوبيخ المسيح الصارم بسبب مثل هذه الغيرة الخاطئة والروح التي تنفث تهديداً ملتهباً. ولنتأمل أيضاً في طريقه القصير والسهل نحو الكرامة وبحثه الدؤوب وطموحه للوصول إلى أعلى المناصب. ولكن، بعد رؤيته لربه، كما في مرآة، تغير يوحنا إلى صورة الرب عينها، لأن محبة المسيح سطعت بقوة فبددت الظلام الكامن في نفس التلميذ، فأصبح مثله بسبب قوة المسيح المغيرة ومحبته المهيمنة».

قد نعتقد أننا خامة غير جديرة بالتشكيل في يد الفخاري الأعظم، ولكنه مازال قادراً على تغيير ابن الرعد

حتى يصبح تجسيداً حياً للرقة والشفقة.

فالمسيح بمقدوره أن يحول البركان إلى ينبوع من الوداعة والمحبة. والشخص الذي أجرى تغييراً كاملاً في الطبيعة التي كانت غاضبة وعاصفة يوما ما، مخضعاً كل ما فيها لصفاته الحلوة، تاركاً فيها قوة الأسد، ومانحاً إياها في نفس الوقت وداعة الحمل، مازال هو هو اليوم. والسؤال هو: هل نحن خاضعون للمشيئة الإلهية كما كان يوحنا؟ هل نحن على استعداد للتغيير بتجديد أذهاننا؟

ليس كما أنا، يارب، بل كما أنت
ذلك وحده، يمكن أن يكون راحة نفسي الحقيقية
محبتك، وليست محبتي، تطرد الخوف والشك
وتهديء العاصفة التي تعتمل في صدري.